تراث الإنسانية

NYROUF

معجم الأدباء

لياقوت الرومى

إبراهيم الإبيارى

الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

معجم الأدباء

لياقوت الرومى

NYROUF

إبراهيم الإبيارى

NYROUF

مهرجان القراءة للجميع ٩٥
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

معجم الأدباء

لياقوت الرومى

إبراهيم الإبيارى

ياقوت

هو شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ٠ ولقد وهم ابن العماد الحنبلى صاحب الشذرات حين لقبه أبا الدر (الدرى) ٠ وأبو الدر هذا ياقوت آخر ، واسمه هو الآخر ياقوت بن عبد الله ، وكان روميا كما كان شاعرا ، وكانت وفاته سنة ٦٢٢ ببغداد ، أعنى أنه كان معاصرا لرجلنا ياقوت ٠ وقد ترجم له ياقوت ، كما ترجم لياقوت آخر رومى الأصل ، كان نزيل الموصل وكان أديبا نحويا . وكانت وفاته سنة ثمان عشرة وستمائة ٠

ولقد كان شهاب الدين من أصل رومى ، سبى صغيرا من بلاد الروم ، لا يدرى أى بلد تلقاه وليدا ٠ لم يذكر

الذين أرخوا له شيئا عن هذا ، واجتزأ ابن خلكان (٦٨١ هـ) وهو أقدم من أرخوا له اذا استثنينا المستوفى الاربلى (٦٣٧ هـ) والقوطى (٦٤٦ هـ) وابن العديم (٦٠٠ هـ) فقد ترجم له الاربلى فى كتابه تاريخ اربل · يشير الى ذلك ابن خلكان وهو يترجم لياقوت · غير أن هذا الكاتب بين ما نفتقد من كتب · ولم يورد القفطى لياقوت فى كتابه انباه الرواة غير تلك الرسالة التى بعث بها اليه ياقوت من الموصل عند وصوله اليها هاربا من التتار ، يصف فيها حاله وما جرى له معهم · وخطبنا فى كتاب ابن العديم «بغية الطلب فى تاريخ حلب» ، فلا يزال الكتاب يفقد أجزاء · والظن أن ابن العديم عرض لياقوت ، اذ كان ياقوت قد دخل حلب فيمن دخلها وبظاهرها كانت وفاته ·

وابن خلكان حين يشير الى مسقط رأس ياقوت يقول : وكانت ولادة ياقوت ببلاد الروم · ثم لا يسكت عن رد هذا الخبر الى أصله فيقول : هكذا قاله ، وهو يعنى ياقوت نفسه ·

وياقوت الذى سكت عن ذكر مكان مولده وأكبر الظن أنه كان يعرفه سكت عن ذكر ما بعد أبيه وأكبر الظن أنه كان لا يعرف من هذا النسب شيئا ، فلقد سبى صغيرا كما مر بك ، ويكاد هذا السبى يقفنا موقف الشك فى أبيه ، لا ندرى أكان عبد الله حقا ، اذ لو كانه لحال ذلك من أن يسبى صغيره ، أم كان حين سبى صغيره لا يزال روميا غير مسلم يحمل اسما غير عبد الله ·

ونعرف أن هذا الصغير حمل من بلده ، وبيع ببغداد ابتاعه رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبى نصر ابراهيم الحموى ، كما يقول ابن خلكان ، وكان عسكر هذا لا يحسن الخط ، ولا يحذق غير التجارة ، وحين اشترى هذا الصغير أراد أن يكمل به هذا النقص الذى يحس فدفعه الى الكتاب ؛ ليتعلم القراءة والكتابة كى يفيد منه فى ضبط تجارته ·

وابن خلكان الذى يذكر هذا عن ياقوب يذكر غيره غير عازيه الى منقول عنه فيقول فى صدر ترجمته لياقوت : الرومى الجنس ، الحموى المولد ، البغدادى الدار ·

فتراه هنا قد صرح بمكان مولده وجعله حماة · ونكاد نشك فى أن هذه وقعت لابن خلكان ـ ان صحت أنها له ـ عن لبس جر اليه مولد المولى ، وهو عسكر بن أبى نصر ابراهيم ، فلقد كان مولده فى حماه ، كما مر بك ، ولكن الثابت فيما رواه ابن خلكان أن هذا المولى عسكرا ابتاع ياقوت من أسواق بغداد ، وما كان قد عرفه من قبل · وحين شب ياقوت شيئا وماز لم يرقه هذا الاسم الذى أطلقه عليه مولاه أو بائعه فيما نرجح ، وضاق به

وسمى نفسه يعقوب . ولكن هذا الاسم الذى احبه لم يشع ، ويقى يعرف بالاسم الذى لم يحبه . ولو لم يذكر ذلك له من أرخواله ما عرف شىء عن كراهية ياقوت لاسمه ورغبته فى غيره . والمؤرخون الذين عرفوا هذا أخذوا بالشائع على الألسنة ، لم يقيموا وزنا لتلك الحقيقة ودرجوا على أن يذكروه باسم ياقوت وان كانوا لم يهملوا أن يشيروا الى ما كان .

ويبدو أن ياقوت حين بدل باسمه اسما لم يبذل جهدا فى صرف الناس عن قديم الى جديد ، ولو انه فعل لحول الألسنة الى ما يريد لاسيما والزمن لم يكن قد امتد بهذا الاسم المكروه كثيرا .

والتجارة التى شغلت المولى شغلت العبد ، فكثرت أسفار ياقوت الى كيش وعمان والشام ينوب عن مولاه فى تجارته . غير أن المولى سرعان ما جافى ياقوت ، فاذا هو لهذه الجفوة يعتقه ويخلى بينه وبينه ويبعده عنه .

ويخرج ياقوت عن مولاه وهو فتى فى الثانية والعشرين من عمره . فلقد كان مولد ياقوت كما يذكر ابن خلكان سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة وكان عتق مولاه له وابعاده عنه سنة ست وتسعين وخمسمائة .

وحين خرج ياقوت عن ملك مولاه واستقل بأمره اشتغل بالنسخ ، ينسخ الكتب لقاء أجر يعيش به . ولقد فتح له النسخ الباب الى القراءة فقرأ ، وكان فيما قرأ شىء من النحو وشىء من اللغة .

ولم يصبر مولاه على مجافاته طويلا ، فرق له وعاد اليه ، وأعطاه شيئا ، وبعث به الى كل كيش فى تجاره له . وحين عاد ياقوت الى بغداد حيث كان يسكن مولاه بزوجه وأولاده ، وجد هذا المولى قد فارق الحياة ، فاحتفظ ياقوت لنفسه بشىء وعاد بما بقى على زوج مولاه وأولاده وكان وفيا لهم سخيا عليهم .

وبهذا القدر الذى بقى فى يدى ياقوت أخذ يتاجر . ولكن تلك الفترة التى عاشها مستقلا بأمره علمته جديدا فجعل الكتب تجارته وما نشك فى أنه أفاد من هذه التجارة الجديدة الى جانب الكسب المادى كسبا أدبيا ، وأنه أضاف الى قراءاته قراءة ، وكان مما قرأ شىء من كتب الخوارج وأنست نفسه بما قرأ فاذا هو متحامل على على بن أبى طالب متعصب فى هذا التحامل .

ويخرج ياقوت الى دمشق فى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، أى وهو فى السابعة والثلاثين من عمره يزيد على ذلك قليلا أو ينقص ، وهو يحمل الى دمشق تجارة من كتب ، ويجلس فى سوق من أسواقها يعرض مع الكتب ما قر فى رأسه من رأى ضد على بن أبى طالب ، واذا هو

يقع فى مناظرة مع رجل يتعصب لعلى ويطول بينهما الكلام ، فاذا ياقوت ينجر الى ذكر على كرم الله وجهه بما لا يسوغ ، فيثور الناس عليه ثورة كادوا أن يقتلوه فيها غير أنه يسلم منهم ، ويخرج من دمشق مفلتا بعد أن طلبه والى البلد ولم يقدر عليه . وكان خروجه عن دمشق فى جمادى الآخرة من تلك السنة التى نزلها فيها أى سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وحين فر ياقوت من دمشق قصد الى حلب فوصلها خائفا يترقب غير أنه لم يستقر به المقام طويلا فى حلب فتركها الى الموصل ثم أربل ، ومن أربل قصد الى خراسان . وما عرج فى تنقله هذا على بغداد لأنه كان يخشى أن يذيع عنه مناظره بدمشق – وكان بغداديا – ما كان منه من تحامل على على بن أبى طالب فيثور به أهل بغداد كما ثار به أهل دمشق ثورة يكون فيها حتفه .

وحين قر قرار ياقوت فى خراسان أخذ يتجر فى بلادها ، وطاب له المقام فى مدينة مرو ، فاتخذها مستوطنا مدة ثم خرج عنها الى نسا ومن نسا مضى الى خوارزم .

وفيما كان ياقوت مقيما بخوارزم خرج التتار وكان ذلك فى سنة ست عشرة وستمائة ، فخرج هو ناجيا بنفسه بعد عناء كثير وكد كبير . وفى ذلك يقول ابن خلكان « فانهزم بنفسه ، كبعثة يوم الحشر من رمسه ، وقاسى فى طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكل عن شرحه اذا ذكره » .

وبعد أن ترك ياقوت خوارزم فارا من وجه التتار وصل الى الموصل ، وقد تقطعت به الأسباب وأعوزه دنى المأكل وخشن الثياب ، وأقام بالموصل مدة طويلة . وبعد ذلك انتقل الى سنجار . ومن سنجار قصد الى اربل – فى رجب سنة سبع عشرة وستمائة . ومن اربل كانت رحلته الأخيرة الى حلب ، فاقام بظاهرها فى الخان الى أن أدركته منيته فى يوم الأحد المتم العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وستمائة وما كان قد جاوز الخمسين الا بعامين أو ثلاثة .

ولقد مضى هذا الرجل دون أن يترك وراءه حاقدا أو حاسداً ، ويخيل الى أنه لم يعش على تعصبه على على بن أبى طالب الذى عرض له مستهل حياته ، اذ لم يذكر له فى هذا الصدد الا تلك الحادثة الأولى فى دمشق التى سقتها لك ، ثم انه لم يعرض لشيء من هذا فى تأليف من تواليفه . ولعل ما لقيه بعد تلك الحادثة من ارهاب رد الرجل الى حب السلام كما رده الى النهج الذى لا خلاف حوله يرجو الآخرة مخلصا خالصا . وفى ذلك يقول فى مقدمة كتابه الذى سنتحدث عنه : ولست أنكر أنى لو لزمت مسجدى ومصلاى ، واشتغلت بما يعود بعاقبة

دنياى فى أخراى لكان أولى ، وبطريق السلامة فى الآخرة أحرى ولكن طلب الأفضل مفقود واعتماد الأحرى غير موجود وحسبك بالمرء فضلا الا يأتى محظورا ولا يسلك طريقا غرورا ·

ويقول : وانما تصديت لجمع هذا الكتاب لا لسلطان أجتديه ، ولا قصور أرتجيه غير أنى راغب الى الناظر فيه أن يترحم على ويعطف جيد دعائه الى ، فذلك مالا كلفة فيه عليه ولا ضرر يرجع به اليه ، فربما انتفعت بدعوته ، وقرب بما قد أمن هو من معرته ·

وهكذا كان ياقوت رجل أمن يحب السلامة فى الدنيا ، ويرجوا العاقبة فى الآخرة ؛ من أجل ذلك خرج هذا الرجل من دنياه والناس يثنون عليه ، ويذكرون فضله وأدبه ، كما يقول ابن خلكان ·

وفى الموصل كتب الى القفطى على بن يوسف صاحب انباه الرواة ـ وكان عندها وزير صاحب حلب ـ كتابا يصف فيها حاله وما جرى له مع التتار يقول فيها : فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والالحاد وتحكم فى تلك الأستار أولو الزيغ والعناد، فأصبحت تلك القصور كالممحوة من السطور ، وأمست تلك الأوطان مأوى للأصداء والغربان ، يتجاوب فى نواحيها البوم ، ويتناوح فى أراجيها الريح السموم ، يستوحش فيها الأنيس ، ويرثى لمصابها ابليس ·

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى
واقبال ملك فى بسالتهم أسد
فمن حاتم فى جوده وابن مامة
ومن أحنف ان عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا
لنا عبرة تدمى الحشى ولمن بعد

الى أن يقول : وجملة الأمر أنه لولا فسحة فى الأجل لعز أن يقال : سلم البائس أو وصل ويصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون والحق بألف ألف ألف ألف مالك بأيدى الكفار أو يزيدون ، وخلف خلفه جل ذخيرته ومستمد معيشته ·

تنكرنى دهرى ولم يدر أننى
أعز وأحداث الزمان تهون
وبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه
وبت أريه الصبر كيف يكون

وكان ياقوت فى جوابه هذا يريد من على بن يوسف للوزير أن يمد اليه يد العون ، ويعوضه بعض ما أصيب وذلك حيث يقول فى آخرها : « والمملوك يتيقن أنه لا يتفق لهذا القدر الذى مضى الا النظر اليه بعين الرضى ولرأى المولى الوزير الصاحب كهف الورى فى المشارق والمغارب فيما يلاحظه منه بعادة مجده مزيد مناقب ومراتب والسلام ·

والذى نعلمه أن ياقوت لم يقدم الى حلب الا مستهل ذى القعدة سنة ست وعشرين وستمائة وهى السنة التى مات فيها ، لا ندرى هل كان ذلك لتأخر الوزير فى الرد عليه أم أن خطاب ياقوت اليه كان قبل ذلك بقليل ·

وياقوت الذى عرفت أنه ناثر ، فيما سقنا اليك من رسالته ، كان شاعرا معدودا من شعراء عصره ذكره أبو البركات مبارك بن أبى بكر بن الشعار الموصلى (٦٥٤ هـ) فى كتابه « عقود الجمان فى شعراء الزمان » ودون له شعرا منه ما رواه عن ابن النجار أبى عبد الله محمد بن محمود (٦٤٣ هـ) صاحب تاريخ بغداد فى غلام تركى وقد رمدت عينه ، وعليها رفائد سوداء :

ومولد للترك تحسب وجهه
بدرا يضىء سناه بالاشراق

أرخى على عينيه فضل وقاية
ليرد فتنتها عن العشاق

تا لله لو أن السوابق دونها
نفذت فهل لوقاية من واق

وياقوت الذى استهوته الكتب فعمل ناسخا مأجورا ما ان ملك أن يجعلها حرفته بيعا وشراء حتى فعل · وما نشك فى أن هذا العمل أغرى ياقوت بأن يكون صاحب

مكتبة واذا هو حين ملك هذه المكتبة يتحرك للتأليف يغريه بذلك طبع وتدفعه سجية · وهو وان كان تأليفا أكثره من نوع الجمع والتبويب غير أنه شاق على من يعانيه يعوزه أول ما يعوزه جمع للمراجع التى تكون مادة للموضوع ، وليست هذه باليسيرة الا على من اكتسب خبرة بالكتب مثل ياقوت فأصبح وراقا من الوراقين ·

ولقد مات ياقوت عن مكتبة لم تعرض المراجع التى كتبت عنه لوصفها ولكنها فيما يبدو كانت مكتبة تذكر يدلنا على ذلك أنه وقفها على مسجد الزيدى الذى كان بدرب دينار ببغداد ، ولو أنها كانت شيئا لا يذكر لتركها هملا دون أن يوصى فى أمرها بشىء ·

كما يدلنا تسليمه هذه الكتب التى وقفها الى الشيخ عز الدين أبى الحسن على بن الأثير صاحب التاريخ الكبير ليحملها الى هناك ، على أن هذه الكتب كانت قطعة من نفسه فلم يقنع بوقفها ، وانما شفع ذلك بتسليمها الى من يأتمنه ؛ ليضمن لها البقاء وليضمن للناس من بعده أن ينتفعوا بها وأن يذكروه ·

والناظر فيما ألف ياقوت يعرف أنه قرأ وحصل وأفاد من تحصيله فوائد تعز على من نشأ نشأته ، وشغل شغله ، فلقد قرأ التاريخ ، فشارك فيه مؤرخا ، ونظر فى الأنساب فخلف فيها أثرا ، ونال من اللغة حظا فلم يشأ الا أن

يملى بقدر ما نال ، ولان له الأدب وطاع فترك فيه أكثر من كتاب منها امهات تعد مراجع ، واستهواه حديث البلدان فجمع فيه مؤلفا هو عمدة الباحثين واليك تفصيل ذلك :

(١) التاريخ · ولياقوت فيه :

١ ـ المبدأ والمآل · ذكره ابن خلكان وكذلك ذكره حاجى خليفة دون أن يعرف به ·

٢ ـ كتاب الدول · ذكره ابن خلكان كما ذكره حاجى خليفة ولم يعرف به هو الآخر ·

(ب) الأنساب · ولياقوت فى هذا الباب :

٣ ـ المقتضب · وهو فى ذكر انساب العرب ، ذكر ذلك ابن خلكان كما ذكره حاجى خليفة · ولم يعرض ابن خلكان ، كما لم يعرض حاجى خليفة الى ان هذا الكتاب أعنى المقتضب اقتضاب لكتاب جمهرة النسب لابن هشام الكلبى · وبدار الكتب المصرية منه مخطوطة ·

(ج) اللغة :

٤ ـ مجموع كلام ابى على الفارسى · ذكره ابن خلكان ·

(د) البلدان :

٥ ـ معجم البلدان · ذكره ابن خلكان وكذلك ذكره حاجى خليفة · والكتاب مطبوع طبعتين الأولى فى ليبسك (١٨٦٦ ـ ١٨٧٠) فى أربعة مجلدات كبار منها مجلدان للفهارس والحواشى والثانية فى مصر (١٩٠٩) فى ثمانية مجلدات ·

٦ ـ المشترك وضعا ، المفترق صقعا ـ ذكره ابن خلكان وكذلك ذكره حاجى خليفة · والكتاب فى ذكره البلاد المتشابهة اسما ، المختلفة موقعا · وهو مطبوع فى غوتنجن (١٨٤٦) فى مجلد يزيد على خمسمائة صفحة ·

(هـ) الأدب :

٧ ـ اخبار المتنبى · ذكره ابن خلكان ولم يذكره حاجى خليفة وان كان قد ذكر كتابا بهذا الاسم نسبه الى ابى الفتح عثمان بن عيسى بن البلطى المتوفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ·

٨ ـ معجم الشعراء · ذكره ابن خلكان مرة بهذا الاسم ومرة باسم اخبار الشعراء المتأخرين والقدماء كما ذكره حاجى خليفة وقال : جمع فيه المتقدمين والمتأخرين ، ورتبه على اثنين واربعين جزءا على حروف التهجى ومن هذا الوصف الذى عقب به حاجى خليفة يتبين أن الاسمين اللذين ذكرهما ابن خلكان لمسمى واحد ·

٩ ـ عنوان كتاب الأغانى . ذكره ابن خلكان ولم يعرف به .

وبعد هذه الكتب كلها تاتى موسوعته الخالدة :

١٠ ـ معجم الأدباء .

ذكره ابن خلكان مرة باسم ارشاد الألباء الى معرفة الأدباء فقال : وصنف كتابا سماه ارشاد الألباء الى معرفة الأدباء ، يدخل فى أربع جلود كبار ذكر فى أوله . قال : ثم مضى ينقل شيئا من أول الكتاب . ثم قال بعد هذا : ومن تصانيفه أيضا كتاب معجم البلدان وكتاب معجم الشعراء وكتاب معجم الأدباء .

ولم يشر ابن خلكان الى أن كتاب معجم الأدباء كتاب آخر غير ارشاد الألباء ، وفى هذا اللبس وقع حاجى خليفة فذكر الكتاب مرتين : مرة باسم معجم الأدباء ومرة باسم ارشاد الألباء ، ولم يشر هو الآخر اشارة تعقيب . وذكره جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية (٣ : ٩٧) باسم معجم الأدباء ثم . قال : أو ارشاد الأريب الى معرفة الأديب .

وبهذا الاسم الأخير جاء فى فهرس دار الكتب المصرية (٥ : ٢٠) الذى ذكر الكتاب بهذا الاسم ثم استطرد يقول : المعروف باسم : معجم الأدباء وطبقات الأدباء ، وأنباء أبناء الزمان .

واذا عدنا الى ياقوت فى آخر مقدمته لهذا الكتاب وجدناه يقول : وقد سميت هذا الكتاب : ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ، ولا يزيد على هذا شيئا .

وهذه البلبلة حول اسم هذا الكتاب ـ فيما أرى ـ مصدرها ابن خلكان . ففى ظنى أن الكتاب ، أعنى كتاب معجم الأدباء ، لم يقع له على الرغم من قرب عهده بالمؤلف ، فلقد كانت وفاة ابن خلكان سنة ٦٨١ هـ أى بعد وفاة ياقوت بنحو من خمس وخمسين عاما ، ثم أنه لم يقدر له ـ أى ابن خلكان ـ أن يجتمع بياقوت كما يصرح بذلك فى آخر ترجمته له حيث يقول : ولم يقدر لى الاجتماع به .

فابن خلكان كما نرى لم يلق ياقوت وهو فيما نرى نقل عنه مما ورد فيما بين يديه وسمع شيئا . وكان هذا الشىء الخاص بالكتب مما سمعه ابن خلكان فهو حين يتحدث عنها يقول « ثم ذكر » وهو يعنى ياقوت .

ولم يخطىء الذين سموا الكتاب هذه التسميات المختلفة ، فكلها تصلح عناوين له . وأولى بالكتاب بعد أن سماه صاحبه باسم صريح لا شك فيه أن يحمل هذا الاسم وهو ارشاد الأريب الى معرفة الأديب .

ولا ندرى لم اختار له ياقوت هذا الاسم الذى يشعر بأن الكتاب لا يضم الا تراجم أدباء على حين يقول ياقوت

في مقدمته للكتاب : وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع الى من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف فى الأدب تصنيفا أو جمع منه تاليفا ·

فأنت ترى أن الكتاب بهذا الوصف الذى ألزم ياقوت به نفسه موسوعة جامعة لفنون شتى ، الأدب فن منها ، وهى بهذا خليقة باسم من بين الأسماء التى أضفاها فهرس دار الكتب على الكتاب وهو أنباء أبناء الزمان ·

غير أن ياقوت يعود فيقول فى مقدمة الكتاب :

« وكنت قد شرعت عند شروعى فى هذا الكتاب أو قبله فى جمع كتاب فى أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ونسجتها على هذا المنوال ، وسبكتها على هذا المثال فى الترتيب والوضع والتبويب ، فرأيت أكثر أهل العلم المتأدبين والكبراء المتصدرين لا تخلوا قرائحهم من نظم شعر وسبك نثر فأودعت ذلك الكتاب ـ يعنى معجم الشعراء ـ كل من غلب عليه الشعر فدون ديوانه ، وشاع بذلك ذكره وشأنه ، ولم يشهر برواية الكتب وتأليفها ، والآداب وتصنيفها وأما من عرف بالتصنيف واشتهر بالتأليف وصحت روايته وشاعت درايته وقل شعره وكثر نثره ، فهذا الكتاب عشه ووكره » ·

فهو بهذا قد ألقى ضوءا على هذه التسمية ، وبهذا الضوء نرى أن تلك التسمية لا غبار عليها ، وأنها أولى أن يشيع بها الكتاب ويعرف بها · ولا ندرى هل كان ابن خلكان هو واضع اسم معجم الأدباء لهذا الكتاب ، حملا على معجم الشعراء ، على أن هذا خاص بالشعراء وذلك خاص بالأدباء ، ثم هل كان هو أيضا واضع ارشاد الألبا الى معرفة الأدباء استئناسا بما انتهى اليه سماعا حول اسم هذا الكتاب ·

ولكن ثمة اسمان جديدان أضافهما فهرست دار الكتب وهما طبقات الأدباء ثم أنباء أبناء الزمان ·

والاسم الأول منهما تسمية بالمعنى فيما يبدو فثمة كتابان جامعان للأدباء هذا الكتاب وكتاب ثان لأبن الأنبارى (٥٧٧ هـ) وقد جمعهما حاجى خليفة تحت اسم طبقات الأدباء مع أن اسم كتاب ابن الأنبارى نزهة الألبا واسم كتاب ياقوت ارشاد الأريب ·

ولعل فهرست دار الكتب استقى هذا الاسم طبقات الأدباء من هذا المرجع أعنى كشف الظنون الذى استقاه هو الآخر من المراجع الأولى التى عرضت لهذا التقسيم ·

أما عن التسمية الثانية ، أعنى أنباء أبناء الزمان ، فلا ندرى مصدرها وان كنا نشك فى أن ثمة ملابسة بين هذا الاسم واسم كتاب ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان · فأنت ترى أن هذا الاسم هو المقطع الثانى

من كتاب ابن خلكان ، وهو بكتاب ابن خلكان ألصق وذاك الكتاب عام بجميع الناثرين والشعراء وغير الناثرين وغير الشعراء ، أما ياقوت فهو خاص بفئة يغلب نثرها على شعرها لهذا كان تسميته باسم أنباء أبناء الزمان تسمية غير موائمة ، لا تقع على لسان مؤلف واع مثل ياقوت ·

ولقد كان ياقوت منذ طعم الأدب مغرما بأخبار العلماء وأنباء الأدباء ، جاد فى البحث عن نكت أقوالهم فما ترك فى ذلك تصنيفا شافيا ولا تأليفا كافيا كما يقول ياقوت ·

ولقد عرض ياقوت بعد ذلك هذا فى مقدمته للذين سبقوه فى هذا الميدان تأليفا يصف أعمالهم فيقول :

« على أن جماعة من العلماء والأئمة القدماء أصحاب كتب التراجم أعطوا ذلك نصيبا من عنايتهم وافرا ، فلم يكن عن الكفاية سافرا ، كأبى بكر محمد ابن عبد الملك التاريخى · وأرى أنه أول من أعارهم طرفه وسود فى تبييض أخبارهم صحفة (١) · لأنه قال فى مقدمة كتابه : وقد اجتهد أبو العباس محمد بن مؤيد الأزدى وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى (٢) (٥٩١ هـ) فى مثل ما أودعناه

---

(١) ذكره ابن النديم وذكر له كتابا اسمه : المقتبس الكبير فى أخبار النحاة ·

(٢) هو : ثعلب امام الكوفيين فى النحو واللغة وقد ذكر له ابن النديم كتبا ولم يذكر له كتبا فى أخبار النحاة كما ترجم له الزبيدى فى كتابه ، نزهة الألبا ولم يذكر له هو الآخر كتابا فى هذا الموضوع ·

كتابا من أخبار النحويين هذا مع أن كتابه – يعنى كتاب التاريخى – صغير الحجم قليل التراجم (٣) ، محشوا بالنوادر التى رووها لا يختص بأخبارهم أنفسهم · ثم ألف بعد فى هذا الأسلوب أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (٣٤٧ هـ) كتابا لم يقع الينا (٤) ·

ثم صنف فيه أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى (٥) (٣٨٤ هـ) كتابا كبيرا على عادته فى تصانيفه الا أنه حشاه بما رووه وملأه بما وعوه فينبغى أن يسمى مسند النحويين وقد وقعت على هذا الكتاب وهو تسعة عشر مجلدا ونقلت فوائده الى هذا الكتاب مع أنه أيضا قليل التراجم بالنسبة الى كبر حجمه ·

ثم ألف فيه أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافى (٣٦٨ هـ) كتابا صغيرا فى نحاة البصرة نقلنا أيضا فوائده الى هذا الكتاب ·

---

(٣) يذكر ياقوت فى مقدمته أن كتابه التاريخى كان يشتمل على ثلاث وعشرين ترجمة نقل هو زبدها ·

(٤) ذكر له ابن النديم كتابا فى أخبار النحويين ولم يذكره حاجى خليفة ·

(٥) ذكر له ابن النديم كتابا فى أخبار النحويين اسمه المقتبس فى أخبار النحويين البصريين ·

ثم جمع فى ذلك أبو بكر محمد بن حسن الاشبيلى الزبيدى (٣٧٩ هـ) (٦) كتابا لم يقصر فيه ، وهو أكثر هذه الكتب فوائد وأكثرها تراجم وفرائض . وقد نقلنا فوائده أيضا الى هذا الكتاب .

ثم ألف فيه القاضى أبو المحاسن أبو الفضل بن محمد بن مسعر (٤٤٣ هـ) كتابا لطيفا نقلنا فوائده (٧) .

ثم ألف فيه على بن فضال المجاشعى (٤٧٩ هـ) كتابا وسماه شجرة الذهب فى أخبار أهل الأدب (٨)) وقع الى منه شىء فوجدته كثير التراجم الا أنه قليل الفائدة لكونه لا يعتنى بالأخبار ولا يعبأ بالوفيات والأعمار .

ثم ألف فيه الكمال عبد الرحمن بن محمد بن الأنبارى (٥٧٧ هـ) كتابا سماه نزهة الألبا فى أخبار الأدبا (٩) نقلنا فوائده أيضا .

فها نحن هؤلاء نرى أن ياقوت كان معنيا باخبار

---

(٦) ذكر له ابن النديم كتابا فى أخبار النحويين ومن الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية باسم طبقات النحاة البصريين .

(٧) ومن الكتاب مصورة بدار الكتب المصرية .

(٨) ترجم له ياقوت وذكر له كتاب اسمه تاريخ النحاة .

(٩) سماه ياقوت وهو يترجم له ، شجرة الذهب فى معرفة ائمة الادب .

(١٠) الكتاب مطبوع واسمه نزهة الالباب فى طبقات الادبا .

النحاة أى الأدباء كما صرح بذلك ابن الأنبارى فى تسمية كتابه فقال : نزهة الألبا فى صفات الأدبا ، أى النحاة .

كما نرى أن ياقوت كان معتمده تلك الكتب التى ذكرها وان لم يرضها ، ولعل برمه بها هو الذى حفزه الى هذا التأليف ، كما يستفاد من تعليقه عليها .

غير أننا نلاحظ أن ياقوت وهو يسرد المؤلفين نقل عنهم على التوالى يذكر المرزبانى وكانت وفاته سنة (٣٨٤ هـ) قبل السيرافى وكانت وفاته سنة (٣٦٨ هـ) وقبل الزبيدى وكانت وفاته سنة (٣٧٩ هـ) .

ولعل هذه من أخطاء الذين وقفوا على طبع الكتاب لا من أخطاء ياقوت ، فلم ينتبهوا الى ورود هذه الفقرة الخاصة بالمرزبانى متقدمة عن مكانها .

وبعد هذا يمضى ياقوت بين منهجه فيقول :

« وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع الى من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين ـ الى آخر ما أوردناه له قبل .

فهو على هذا التوسع الذى بسطه قاصر جمعه على فئة بعينها هى الفئة المتأدبة أو ما يغلب نثره على شعره ـ تاركا من غلب شعره على نثره الى كتاب آخر هو معجم الشعراء الذى تقدم ذكره .

والى جانب هذا القدر الذى استقى ياقوت أخباره من كتب الذين سبقوه وألسنة الرواة مع تحوير وتعديل ومزيد ، جانب آخر ضمه ياقوت الى تأليفه هذا وهو تراجم من لقيهم أو من لقى من لقيهم · وفى ذلك يقول ياقوت ·

فأما من لقيته أو لقيت من لقيه فأورد لك من أخباره وحقائق أموره ما لا أترك لك بعده تشوفا الى شىء من خبره ، وأما من تقدم زمانه وبعد أوانه فأورد من خبره ما أدت الاستطاعة اليه ، ووفقنى النقل عليها فى ترددى الى البلاد ، ومخالطتى للعباد ، وهو بعد هذا كان يؤثر التخفيف من الأسانيد الطويلة دون التقصير وكان لا يهمل اثبات الوفاة والمولد وذكر التصانيف وسوق المستحسن من الأخبار وطرف من الأشعار وسر نسب من يترجم له لا يعمد فى كل ما يسوق الى الاطالة بل يميل الى الايجاز غير المخل ·

ثم هو لم يهمل الاشارة الى المرجع الذى ينقل عنه اذا كان هذا النقل من كتاب معول عليه يؤيد بذلك نقله ·

وقد رتب ياقوت كتابه على حروف الهجاء التزم ذلك فى أسماء الأشخاص ، ثم فى أسماء آبائهم يما اتفق الاسم واسم الأب قدم من تقدمت وفاته على من تأخرت ·

الا أنه على هذا لم يلتفت الى صدر الكنى فيمن عرفوا بكناهم ، أعنى أنه لم ينظر الى لفظتى ابن وأب نظر الى ما بعدهما فأبو بكر بن عياش يترجم له فى بكر وأبو ثروان العكلى يترجم له فى رسم ثروان ·

وما قصد فيما جمع ياقوت أدباء قطر ولا علماء عصر ولا اقليم معين ولا بلد معين ؛ بل نراه جمع للبصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وتفاوت الأزمان ·

وقد مهد ياقوت لكتابه بفصلين : أولهما فى فضل الأدب وأهله ، وذم الجهل وحمله ، وثانيهما فى فضيله علم الأخبار ساق فى كل منهما كلاما مأثورا ونتفا وأخبارا

غير أنا نقرأ له فى مقدمته : وأفردت فى آخر كل حرف فصلا أذكر فيه من أشتهر بلقبه على ذلك الحرف من غير أن أورد شيئا من أخباره فيه انما أدل على اسمه واسم أبيه ليطلبه فى موضعه ·

وهو يعنى بهذا أن يذكر فى عقب حرف الصاد مثلا الصولى ليرد الباحث الى ابراهيم بن العباس ، والصابى ليرد الباحث الى ابراهيم بن هلال وهكذا ·

ولكنا لم نجد له فى الكتاب المجموع بين أيدينا شيئا من هذا ·

ثم نقرأ له فى مقدمته : وابتدائه بفصل يتضمن أخبار قوم من متخلفى النحويين والمتقدمين المجهولين ·

وهو يعنى شيئا مما ضمه مثل : أخبار النحويين للنجيرمى ابراهيم بن عبد الله (القرن الرابع الهجرى) وأخبار النحويين لأبى سعيد السيرافى ، وأخبار النحويين للتاريخى أبى بكر محمد بن عبد الملك ، وقد عقد ابن النديم لذلك فصلا تحت عنوان الكتب القديمة فى أخبار النحويين ·

ولكنا نرى الكتاب الذى بين أيدينا يبدأ بآدم الهروى « القرن السادس الهجرى » وفق ما رسم ياقوت لكتابه أن يكون على حروف الهجاء ، ثم يمضى على هذا الترتيب الى حرف الياء ·

وهذا يؤكد ما فى الكتاب من نقص لازال الى اليوم ضالة الباحثين ·

وقد أشار الى شىء من هذا الناشر الأول لهذا الكتاب مرجليوث اذ لم يعتمد فى نشره لهذا الكتاب الا على نسخة وقعت لمكتبة « بريل » سنة ١٨٨٢ متأخرة النسخ مليئة بالأخطاء والاضطراب · وقد اعترف الناشر فى مقدمته

لطبعته أنه اعتمد على المراجع التى نقلت عن ياقوت مثل الصفدى فى كتاب الوافى بالوفيات والكتبى فى فوات الوفيات ، والموسوى فى كتابه روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات ، كما استعان بالكتب التى نقل عنها ياقوت وقد وضع لها ثبتا فى آخر طبعته ·

وهذه الطبعة فى سبعة مجلدات طبعت فى القاهرة بمطبعة هندية فى نحو سنة ١٩٠٧ مع الجزء الأول منها مقدمة بالانجليزية للأستاذ مرجليوث وبآخرها فهرس لأسماء الرجال وآخر لأسماء الكتب التى أخذ عنها ياقوت ·

وقد راجع هذه الطبعة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجى راجع نحو نصف الكتاب ثم ادركته منيته (١٩٠٦ م) فراجع النصف الباقى نسطاس الحمصى صاحب كتاب تاريخ النقد فى الأدب العربى ، وقد أفاد الناشر من ملاحظات لبعض الأدباء منهم جورجى زيدان ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ محمد حسنين الغمراوى · ثم أعاد الناشر طبعة ثانية لنفاد الطبعة الأولى ، وكان قد وقع له كتاب الزبيدى فى الطبقات مطبوعا كما وقع له تاريخ دمشق ونشوار المحاضرة للتنوخى وكلها تحوى نصوصا جاءت فى ياقوت · كما أمد أندروز والآب انستاس

الكرملى ببعض ملاحظات استدركها • كما جمع له أحمد زكى باشا تراجم لم يسبق نشرها •

بكل هذا انتفع الناشر فى طبعته الثانية التى ظهرت فيما بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٧ والتى طبعت بمطبعة هندية بالقاهرة أيضا •

ويضم الكتاب نحوا من ١٠٤١ ترجمة منهم :

الشيبانى ابراهيم بن سعدان بن حمزة ، والنجيرمى ابراهيم بن عبد الله ، ونفطويه ابراهيم ابن محمد ، والصابى ابراهيم بن هلال ، والحصرى القيروانى ابراهيم بن على ، واليزيدى ابراهيم بن يحيى بن المبارك وبديع الزمان الهمزانى أحمد بن الحسين ، وجحظة البرمكى أحمد بن جعفر ، والدينورى أحمد بن داود ، وابن رشيق الأندلسى أحمد ، وأبو العلاء المعرى أحمد بن عبد الله بن سليمان ، والرمانى أحمد بن على ، وابن فارس أحمد اللغوى ، وابن ثوابة الكاتب أحمد بن محمد ، ومسكويه أحمد بن محمد والثعلبى النيسابورى أحمد بن محمد ، والبلاذرى أحمد بن يحيى ، وثعلب أحمد بن يحيى أبو العباس ، وابن الداية أحمد بن يوسف ، واسحاق بن ابراهيم الموصلى ، والجواليقى اسحاق بن موهوب ، والبيهقى اسماعيل بن الحسن ، والفارابى اسماعيل بن حماد ، والوزير الصاحب ابن عباد اسماعيل ، والاسكافى الحسن بن على ، وابن حمدون الكاتب الحسن بن محمد ، والصنعانى النحوى الحسن بن محمد ، وابن خالويه الحسن بن أحمد ، والآمدى اللغوى الحسين ابن سعد ، والحسين بن مطير الأسدى ، وابن القلانسى حمزة بن أسد ، وحميد بن ثور الهلالى ، والخليل بن أحمد الفراهيدى ، والزبير بن بكار ، وحيص بيص الشاعر سعد بن محمد ، والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ، والسجستانى سهل بن محمد ، والربعى صاعد ابن الحسن بن عيسى ، وابن السراج طالب بن محمد ، والرياشى العباس بن الفرج وابن جنى أبو الفتح عثمان ، وابن القطاع على بن جعفر ، والكسائى على بن الحسن ، وأبو الفرج الأصبهانى على بن الحسين ، والكسائى على ابن حمزة والأخفش الصغير على بن سليمان ، والربعى على بن عيسى بن الفرج ، وابن العميد أبو الفتح على بن محمد ، وأبو حيان التوحيدى على بن محمد بن العباس وابن خروف الأندلسى على بن محمد ، والمنجم على بن هارون ، وابن البواب على بن هلال ، وابن العديم عمر ابن أحمد ، والجاحظ عمرو بن بحر ، وسيبويه النحوى عمروبن عثمان ، والحريرى القاسم ابن على ، والأنبارى القاسم بن محمد ، والغندجانى محمد بن أحمد ، وابن الأعرابى محمد بن زياد ، وابن القوطية محمد بن

عبد العزيز ، والمبرد محمد بن يزيد ، والجواليقى موهوب بن أحمد ، والأخفش هارون ابن موسى ، وابن الشجرى هبة الله بن على البغدادى ، وابن السكيت يعقوب بن اسحاق ، والشنتمرى يوسف ابن سليمان .

لا ندرى كم ترجمة يفقدها الكتاب بعد هذا اذ لم يشر ياقوت الى جملة من ترجم لهم غير أن الناقلين عن ياقوت قد دلونا على هذا النقص والالمام به محتاج الى عناء كثير وقد لا ينتهى الى معرفة . فلقد يكون هؤلاء الناقلون ذكروا شيئا وأهملوا شيئا .

ثم طبع الكتاب طبعة ثالثة بالقاهرة أيضا من بين مطبوعات دار المأمون فى سنة ١٩٣٦ بمطبعة عيسى الحلبى وخرجت هذه الطبعة باسم أحمد فريد رفاعى فى عشرين جزءا لا تزيد عن سابقتها غير كلمة الاهداء لرفاعى ثم تعريف بالناشر الأول مرجليوث ثم هى بعد هذا تتمين بالشكل الكامل .

واليك ترجمتين أولاهما للتنوخى من رجال القرن الثانى الهجرى فى ترجمته للسابقين له تكشف لك عن نمط ياقوت .

والثانية لرجل من المعاصرين لياقوت وهو القفطى وهذه هى الترجمة الأولى تلقى ضوءا عن تناول ياقوت لأخبار المعاصرين .

ـ ١ ـ

أحمد بن اسحاق بن البهلول

ابن حسان بن سنان ، أبو جعفر التنوخى ، أنبارى الأصل ، ولى القضاء بمدينة المنصور عشرين سنة ، ومات لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين ومائتين ، عن ثمان وثمانين سنة .

قال أبو بكر الخطيب : وحدث حديثا كثيرا ، وكان عنده عن أبى لهب محمد بن العلاء حديث واحد ، وروى عنه الدارقطنى ، وأبو حفص بن شاهين ، والمخلص ، وجماعة ، وكان ثقة ، قال : وذكر طلحة بن محمد بن جعفر فى تسمية قضاة بغداد .

أحمد بن اسحاق بن البهلول ، عظيم القدر ، واسع الأدب ، تام المروءة ، حسن الفصاحة ، حسن المعرفة بمذهب أهل العراق ، ولكن غلب عليه الأدب ، وكان لأبيه اسحاق مسند كبير حسن ، وكان ثقة ، وحمل الناس عن جماعة من أهل هذا البيت ، منهم البهلول بن حسان ، ثم ابنه اسحاق ، ثم أولاد اسحاق .

ولم يزل أحمد بن اسحاق على قضاء المدينة من سنة ست عشرة وثلاثمائة ، ثم صرف ، وكان بينا فى الحديث ، ثقة مأمونا ، جيد الضبط لما حدث به ، وكان مفتيا فى علوم شتى ، منها الفقه على مذهب أبى حنيفة وأصحابه ، وربما خالفهم فى مسألات يسيرة ، وكان تام العلم باللغة ، حسن القيام بالنحو على مذهب الكوفيين ، وله فيه كتاب ألفه ، وكان تام الحفظ للشعر القديم والمحدث والأخبار الطوال والسير والتفسير ، وكان شاعرا كثير الشعر جدا ، خطيبا ، حسن الخطابة والتفوه بالكلام ، لسنا صالح الخط فى الترسل والمكاتبة والبلاغة فى المخاطبة ، وكان ورعا متخشنا فى الحكم تقلد القضاء بالأنبار ، وهيت ، وطريق الفرات ، من قبل الموفق بالله الناصر لدين الله ، فى سنة ست وسبعين ومائتين ، ثم تقلد للناصر دفعة أخرى ، ثم تقلد للمعتضد ، ثم تقلد بعض كور الجبل للمكتفى ، فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ولم يخرج اليها ، ثم قلده المقتدر بالله فى سنة ست وتسعين ومائتين بعد فتنة ابن المعتز القضاء بمدينة المنصورة من مدينة السلام . وطسوج قطربل ومسكن ، والأنبار ، وهيت ، وطريق الفرات ، ثم أضاف له الى ذلك بعد سنين القضاء بكور الأهواز مجموعة ، لما مات قاضيها اذ ذاك محمد بن خلف المعروف بوكيع ، فما زال على هذه الأعمال الى أن صرف عنها فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة ٠

وحدثنا أبو نصر يوسف بن عمر بن القاضى أبى عمر محمد بن يوسف قال : كنت أحضر دار المقتدر بالله وأنا غلام حدث بالسواد مع أبى الحسين ، وهو يومئذ قاضى القضاة ، فكنت أرى فى بعض المواكب القاضى أبا جعفر يحضر بالسواد ، فاذا رآه أبى عدل الى موضعه فجلس عنده ، فيتذاكران الشعر والأدب والعلم ، حتى يجتمع عليهما من الخدم عدد كثير ، كما يجتمع على القصاص استحسانا لما يجرى بينهما ، فسمعته يوما وقد أنشد بيتا لا أذكره الآن ، فقال له أبى : أيها القاضى ، انى أحفظ هذا البيت بخلاف هذه الرواية ، فصاح عليه صيحة عظيمة وقال : اسكت ، ألى تقول هذا ؟ أنا أحفظ لنفسى من شعرى خمسة عشر ألف بيت ، وأحفظ للناس أضعاف ذلك وأضعافه وأضعافه ، يكررها مرارا ٠

وفى رواية ابن عبد الرحيم عن التنوخى قال : قال له هات ، ألى تقول هذا ؟ وأنا أحفظ من شعرى نيفا وعشرين ألف بيت ، سوى ما أحفظه للناس ، قال : فاستحى أبى منه لسنه ومحله وسكت ٠ وقال :

وحدثنى القاضى أبو طالب محمد بن القاضى أبى جعفر بن البهلول قال : كنت مع أبى فى جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه ، والى جانبه فى الحق جالس أبو جعفر الطبرى ، فأخذ أبى يعظ صاحب المصيبة ويسليه ، وينشده أشعارا ، ويروى له أخبارا ، فداخله الطبرى فى

ذلك ، وذنب معه ، ثم اتسع الأمر بينهما فى المذاكرة وخرجا الى فنون كثيرة فى الأدب والعلم استحسنها الحاضرون ، وعجبوا منها ، وتعالى النهار وافترقنا ، فلما جعلت أسير خلفه قال يا بنى : هذا الشيخ الذى داخلنا اليوم فى المذاكرة من هو ؟ أتعرفه ؟ فقلت : يا سيدى كأنك لم تعرفه ؟ فقال : لا · فقلت : هذا أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، فقال : أنا لله ، ما أحسنت عشرتى يا بنى ، فقلت : كيف يا سيدى ؟ فقال : ألا قلت لى فى الحال ، فكنت أذاكره غير تلك المذاكرة ، هذا رجل مشهور بالحفظ ، والاتساع فى صنوف من العلم ، وما ذاكرته بحسبها ، قال : ومضت على هذا مدة فحضرنا فى حفل لآخر وجلسنا ، واذ بالطبرى يدخل الى الحفل ، فقلت له : قليلا قليلا أيها القاضى ، هذا أبو جعفر الطبرى قد جاء مقبلا ، قال : فأومأ اليه بالجلوس عنده ، فعدل اليه ، فأوسعت له حتى جلس الى جنبه ، وأخذ أبى يجاريه ، فكلما جاء الى قصيدة ذكر الطبرى منها أبياتا ، قال أبى : هاتها يا أبا جعفر ، فربما تلعثم ، فيمر أبى فى جميعه ، حتى سبقه ، قال : فما سكت أبى يومه ذاك الى الظهر ، وبان للحاضرين تقصير الطبرى ، ثم قمنا فقال لى أبى ! الآن شفيت صدرى ·

ولأبى جعفر هذا كتاب فى النحو على مذهب الكوفيين ، حدث أبو على التنوخى ، حدثنى أبو الحسن على بن هشام بن عبد الله ، المعروف بابن أبى قيراط ، كاتب ابن الفرات ، وأبو محمد عبد الله ابن على ذكويه ، كاتب نصر القشورى ، وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوذانى كاتب ابن الفرات ، قالوا كنا مع أبى الحسن بن الفرات ، فى دار المقتدر فى وزارته التانية ، فى يوم الخميس لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة من سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقد استحضر ابن قليجة رسول على بن عيسى الى القرامطة ، فى وزارته الأولى ، فواجه على بن عيسى فى المجلس بحضرتنا بانه وجه الى القرامطة مبتدئا ، فكاتبوه يلتمسون منه المساحى والطلق وعدة حوائج ، فأنفذ جميع ذلك اليهم ، وأحضر ابن الفرات معه خطة ، « أى ابن عيسى » فى نسخة أنشأها ابن ثوابة الى القرامطة ، جوابا عن كتابهم اليه ، وقد أصلح على بن عيسى فيها بخطه ، ولم يقل انكم خارجون عن ملة الاسلام بعصايانكم أمير المؤمنين ومخالفتكم اجماع المسلمين وشقكم العصا ، ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد ، وداخلون فى جملة أهل العناد والفساد ، فهجن ابن الفرات عليا بذلك وقال : ويحك تقول القرامطة مسلمون ؟ والاجماع قد وقع على أنهم أهل ردة ، لا يصلون ولا يصومون ، وتوجه اليهم بالطلق وهو الذى اذا طلى به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار ، قال : أردت بهذا المصلحة واستعادتهم الى الطاعة بالرفق وبغير حرب ، فقال ابن الفرات لأبى عمر القاضى : ما عندك فى هذا يا أبا عمر ؟ أكتب به ، فأفحم ، وجعل مكان ذلك أن أقبل

على على بن عيسى فقال : يا هذا ، لقد أقررت بما لو أقر به امام لما وسع الناس طاعته ، قال فرأيت على بن عيسى وقد حدق اليه تحديقا شديدا ، لعلمه بأن المقتدر فى موضع يقرب منه ، بحيث يسمع الكلام ولا يراه الحاضرون ، فاجتهد ابن الفرات بأبى عمر أن يكتب بخطه شيئا فلم يفعل ، وقال : قد غلط غلطا وما عندى غير ذلك ، فأخذ خطه بالشهادة عليه بأن هذا كتابه ثم أقبل على أبى جعفر أحمد بن اسحاق بن الهلول القاضى ، فقال : ما عندك يا أبا جعفر فى هذا ؟ فقال : ان أذن الوزير أن أقول ما عندى فيه على شرح قلته ، قال : افعل ، قال : صح عندى أن هذا الرجل وأومأ الى على بن عيسى ، افتدى بكتابين كتبهما الى القرامطة فى وزارته الأولى ابتداء وجوابا ثلاثة آلاف رجل من المسلمين ، كانوا مستبعدين ، وهم أهل نعم وأموال ، فرجعوا الى أوطانهم ونعمهم ، فاذا فعل الانسان مثل هذا الكتاب على جهة طلب الصلح ، والمغالطة للعدو لم يجب عليه شىء قال : فما عندك فيما أقر به أن القرامطة مسلمون ؟ قال : اذا لم يصح عنده كفرهم وكاتبوه بالتسمية لله ثم الصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وانتسبوا الى أنهم مسلمون ، وانما ينازعون فى الامامة فقط لم يطلق عليهم الكفر ، قال فما عندك فى الطلق ينفذ الى أعداء الامام ؟ فاذا طلى به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار ، وصاح بها كالمنكر على أبى جعفر ، فأخبرنى ، فأقبل ابن البهلول على على بن عيسى فقال له : أنفذت الطلق الذى هذه صفته الى القرامطة ؟ فقال على بن عيسى لا : فقال ابن الفرات : هذا رسولك وثقتك ابن قليجة ، قد أقر عليك بذلك ، فلحق على بن عيسى دهشة فلم يتكلم ، فقال ابن الفرات لأبى جعفر بن البهلول ، احفظ اقراره بابن قليجه ثقته ورسوله ، وقد أقر عليه بذلك ، فقال أيها الوزير ، لا يسمى هذا مقرا ، هذا مدع ، وعليه البنية ، فقال ابن الفرات : فهو ثقته بانفاذه اياه ، قال : انما وثقة فى حمل كتاب ، فلا يقبل قوله عليه فى غيره ، فقال ابن أبى جعفر : أنت وكيله ، ومحتج عنه ؟ لست الا حاكما ، فقال : لا ولكنى أقول الحق فى هذا الرجل ، كما قلته فى حق الوزير ـ ايده الله ـ لما أراد حامد بن العباس فى وزارته ومن ضامه الحيلة على الوزير ـ أعزه الله ـ بما هو أعظم من هذا الباب ، فان كنت لم أصب حينئذ فلست مصيبا فى هذا الوقت ، فسكت ابن الفرات ، والتفت الى على بن عيسى وقال : أقرمطى ؟ فقال له على بن عيسى : أيها الوزير ، انا قرمطى ؟ يعرض به ، وذكر قصة طويلة ، ليست من خبر ابن البهلول فى شىء .

وحدث أبو الحسن على بن هشام بن أبى قيراط ، قال : دخلت مع أبى الى أبى جعفر أحمد بن اسحاق بن البهلول عقيب عيد لنهنئه به ، وتطاول الحديث ، فقال له أبى : قد كنت أكاتب الوزير ـ أيده الله ـ الى محبسه ،

يعنى ابن الفرات ، لأنـــه هو كان الوزير اذ ذاك الوزارة الثالثة ، وأعرفه ما عليه القاضى من موالاته من كذا وكذا ، والآن : وهو على شـــكر القاضى والاعتداد به ، قال : فلما سمع ذلك فرق الغلمان ، ومن كان فى مجلسه من أصحابه حتى خلا ، وقال : ليس يخفى على التغير فى عين الوزير ، وان كان لم ينقصنى من رتبة ولا عمل ، وبالله أحلف لقد لقيت حامد بن العباس بالمدائن لما جيء به للوزارة فقام له فى حراقته قائما ، وقال لى : هذا الأمر لك ولولدك ، وسيبين لك ما أفعله فى زيادتك ، من الأعمال والأرزاق ، ثم لقيته يوم الخلع عليه بعد لبســه اياها فتطاول ، فلما فعلت به فى أمر الوزير ـ أيده الله ـ ما فعلته بحضرة أمير المؤمنين عادانى ، وصار لا يعيرنى طرفه ، وتعرضت منه لكل بلية ، فكنت خائفا له حتى أراح الله منه بتفرد على بن عيسى بالأمور ، واشتغاله هو بالضـــمان ، وســـقوط حاجتنا الى لقائه ، ومالى الى هذا الوزير ـ أيده الله ـ ذنب يوجب انقباضه ، الا أنى أديت الوديعة التى كانت له عندى ، وبالله لقد وريت عن ذكرها جهدى ، ودافعت بما يدافع به مثلى ، ممن لا يمكنه الكذب ، فلمـــا جاء ابن حماد كاتب موسى بن خلف وأقر بها ، وأحضر الدليل باحضار المرأة التى حملتها ، لم أجد بدا من أدائها ، وقد فعل مثلى أبو عمر فى الوديعة التى كانت له عنده ، الا أن أبا عمر فعل ما قد علمته من حيلة ، بشراء فص بنصف درهم ، ونقش عليه على ابن محمد ، ووضع مالا من عنده فى أكياس

ختمها به ، وقال للوزير : [illegible] عندى بحالها ، وأنا غرمت ما أديت عنك من مالى ، وأراد التقرب اليـــه ففعل هذا ، وأنت تعلم فرق ما بينى وبين أبى عمر فى كثرة المال ، فاريد أن تحل سخيمته وتستصلح له نيته ، وتذكره بحقى القديم عليه ، ومقامى له بين يدى الخلفية ، ذلك ، وأن مثل ذلك لا ينسى بتجن لا يلزم • فقـــال له أبى : أنا أفعل ولا أقصر ، وقد اختلفت الأخبار علينا فيما جرى ذلك اليوم ، فان رأى القاضى ـ أعزه الله ـ أن يشرحه لى ، فعل • فقال أبو جعفر : كنت أنا ، وأبو عمرو على بن عيسى ، وحامد بن العباس ، يحضره الخليفة مع جماعة من خواصه ، وكلهم منحرف عن الوزير ـ أيده الله ـ ومحب لمكروهه ، اذ حضر حامد الرجل الجندى الذى ادعى أنه وجده راجعا من أردبيل الى قزوين ، ثم الى أصبهان ثم الى البصرة ، فانه أقر له عفوا أنه رسول ابن الفرات الى ابن أبى الساج ، فى عقد الامامة لرجل من الطالبين المقيمين بطبرستان ، ليقويه ابن أبى الساج ، ويسيره الى بغداد ، ويعاونه ابن الفرات بها ، وأنه مخبر أنه تردد فى ذلك دفعات ، وخاطبه بحضرة الخليفة فى أن يصدق عما عنده فى ذلك ، فذكر الرجل مثل ما أخبر به عند حامد ، ووصف أن موسى بن خلف كان يتحيز لابن الفرات ، لأنه من الدعاة الذين يدعون الى الطالبيين ، وأنه كان يمضى فى وقت من الأوقات الى ابن أبى الساج فى شيء من هذا ، فلمـــا

استتم الخليفة سماع هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا ، واقبل على ابن عمر وقال : ما عندك فيمن فعله هذا ؟ فقـال : لئن كان فعل ذلك ، لقد اتى أمرا فظيعـا ، وأقدم على أمر يضر بالمسلمين جميعـا ، واستحق لذا كلمة عظيمة لا أحفظها ، قال أبو جعفر : وتبينت فى على بن عيسى كراهية لما جرى ، والانكار للدعوى والطنز بما قيل فيها ، فقويت بذلك نفسى ، وأقبل الخليفة على فقـال : ما عندك يا أحمد فيمن فعل هذا ؟ فقلت : ان أرى أمير المؤمنين أن يعفينى · فقـال ولم ؟ فقلت : لأن الجواب ربما أغضبت به من انا محتاج الى رضاه ، أو خالف ما يوافقـه من ذلك ويهواه ، ويضر بى ، فقـال : لابد أن تجيب ، فقلت : الجواب ما قال الله تعـالى ، « أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » ومثل هذا يا أمير المؤمنين لا يقبـل فيه خبر واحد ، والتمييز يمنع من قبول مثل هذا على ابن الفرات ، أتراه يظن به أنه رضى أن يكون تابعـا لابن أبى الساج ؟ ولعله ما كان يرضى وهو وزير أن يستحجبه ، ثم أقبلت على الرجل فقلت له : صف لى أردبيل ، عليها سور أم لا ؟ فانك على ما تدعيه من دخولها ، لابد أن تكون عارفا بها ، واذكر لنا صفة باب دار الامارة ، هل هو حديد ، أم خشب ؟ فتلجـلج ، فقلت له : كاتب ابن أبى الساج بن محمود ما اسمه ؟ وما كنيته ؟ فلم يعرف ذلك ، فقله له : فأين الكتب التى معك ؟ فقال : لما أحسست بأنى

قد وقعت فى أيديهم رميت بها ، خوفا من أن توجد معى فأعـاقب ، قال : فأقبـلت على الخليفـة وقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا جاهل مكتسب ، مدسوس من قبل عدو غير محصل ، فقال على بن عيسى مؤيدا لى : قد قلت هذا للوزير فلم يقبل قولى ، وليس يهدد هذا فضلا عن أن ينزل به مكروه الا أقر بالصورة ، فأقبل الخليفة على نذير الحرمى ، وعدل عن أن يأمر نصرا الحاجب بذلك ، لما يعرفه بينه وبين ابن الفرات : بحقنا عليك لما ضربته مائة مقرعة أشد الضرب ، الى أن يصدق عن الصورة · فعدى بالرجل عن حضرة الخليفة يبعد ويضرب ، فقال : لا ، الا ماهنا ، فضرب بالقرب منه دون العشرة ، فصاح : غدرت ، وضمنت له الضمانات ، وكذبت ، والله ما دخلت أردبيل قط ، فطلب نزار ابن محمد الضبى أبو معد وكان صاحب الشرطة وقد انصرف ، فقال الخليفة لعلى بن عيسى وقع اليه بأن يضرب هذا مائة سوط ، ويثقله بالحديد ، ويحبس فى المطبق ، فوالله لقد رأيت حامدا وقد كاد يسقط انخذالا ، وانكسارا ووجدا واشفاقا ، وخرجنا وجلسنا فى دار نصر الحاجب ، وانصرف حامد ، وأخذ على ابن عيسى ينظر فى الحوائج وأخر أمر الرجل ، فقال له حاجبه ابن عبدوس : قد وجه نذير بالمضروب المتكذب ، فقلت له : انه وان كان قد جهل ، فقد غمنى ما لحقه خوفا من ان أكون سببه ، فان أمكنك أن تسقط عنه المكروه وبعضه أجرت ، فقال : ما فى هذا ــ لعنة الله ــ أجر ، ولكن اقتصر على خمسين مقرعة ، وأعفيه

من السياط ، ثم وقع بذلك الى نزار وانصرفنا ، فصار حامد من أعدى الناس لى .

وقال ابن عبد الرحيم : حدثنى القاضى أبو القاسم التنوخى ، وله بأمره الخبرة التامة ، لما يجمعهما من النسب فى الصناعة ، قال :

كان أبو جعفر من جلة الناس وعظمائهم وعلمائهم ، وتقلد قضاء الأنبار ، وهيت ، والرحبة ، وطريق الفرات ، فى أيام المعتمد بعد كتبة الموفق أبى احمد ، سنة سبعين ومائتين ، وأقام يليها الى سنة ست عشرة وثلاثمائة ، وأضيف له اليها الأهواز وكورها السبع ، وخلفه عليها جدى أبو القاسم على بن محمد التنوخى ، فى سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقلده ماه الكوفة ، وماه البصرة مضافات الى ما تقدم ذكره ، ثم رد عليه مدينة المنصور وطسوج مسكن ، وقطربل بعد فتنة ابن المعتز فى سنة ست وتسعين ومائتين ، ولم يزل على هذه الولايات الى سنة ست عشرة وثلاثمائة ، وأسن وضعف ، فتوصل أبو الحسين الأشنانى الى أن ولى قضاء المدينة فكانت له أحاديث قبيحة ، وقيل ان الناس سلموا عليه بالقباء ايماء الى البغاء ، وكان اليه الحسبة ببغداد ، فصرف فى اليوم الثالث ، واعيد العمل الى ابى جعفر ، فامتنع من قبوله ، فرفع يده عن النظر فى جميع ما كان اليه ، وقال : احب أن يكون بين الصرف والقبر فرجة ، ولا انزل من القلنسوة الى الحفرة ، وقال فى ذلك :

تركت القضاء لأهل القضاء
وأقبلت أسمو الى الآخره

فان يك فخرا جليل الثناء
فقد نلت منه يدا فاخره

وان كان وزرا فأبعد به
فلا خير فى امرة وأزره

فقيل له : فابذل شيئا حتى يرد العمل الى ابنك ابى طالب ، فقال : ما كنت لأتحملها حيا وميتا ، وقد خدم أبى السلطان ، وولاه الأعمال ، فان استوثق خدمته قلده ، وان لم يرتض مذاهبه صرفه ، وهذا يفتضح ولا يخفى ، وأنشدهم :

يقولون همت بنت لقمان مرة
بسوء وقالت يا أبى ما الذى يخفى ؟

فقال لها ما لا يكون ، فأمسكت
عليه ولم تمدد لمنكرة كفا

وما كل مستور يغلق دونه
مصاريع أبواب ، ولو بلغت ألفا

بمستتر ، والصائن العرض سالم
وربتما لم يعدم الذم والقذفا

على أن أثواب البرىء نقية
ولا يلبث الزور المفكك أن يحلفا

قال : ولست أعلم ، هذا الشعر له أم تمثل به ؟

قال التنوخى : وكان أبو جعفر يقول الشعر تأدبا وتطربا ، وما علمت أنه مدح أحدا بشىء منه ، وله قصيدة طردية مزدوجة طويلة ، وحمل الناس عنه علما كثيرا ومن شعره :

رأيت العيب يلصق بالمعالى
لصوق الحبر فى لفق الثياب
ويخفى فى الدنىء فلا تراه
كما يخفى السواد على الاهاب

وله فى الوزير ابن الفرات :

قلت لهذا الوزير قول محق
بثه النصح أيما ابثاث
قد تقلدتها ثلاثا ثلاثا
وطلاق البنات عند الثلاث

وكان الأمر على ما قاله ، فان ابن الفرات قتل بعد الوزارة الثالثة فى محبسه ، وله أيضا :

أقبلت الدنيا وقد ولى العمر
فما أذوق العيش الا كالصبر

لله أيام الصبا اذ تعتكر
لاقت لدينا لو تثوب ما يسر

وله أيضا :

ويجزع من تسليمنا فيردنا
مخافة أن تبغى يداه فيبخلا
وما ضره لو أن أجاب ببشره
فنقنع بالبشر الجميل ونرحلا

وله أيضا :

وحرقة أورثتها فرقة دنفا
حيران لا يهتدى الا الى الحزن
فى جسمه شغل عن قلبه وله
فى قلبه شغل عن سائر البدن

وله أيضا :

أبعد الثمانين أفنيتها
وخمسا وسادسها قد نما
ترجى الحياة وتسعى لها ؟
لقد كاد دينك أن يكلما

وله أيضا :

الى كم تخدم الدنيا
وقد جزت الثمانينا
لئن لم تك مجنونا
فقد فقت المجانينا

NYROUF

شعره :

اجهد لنفسك ان الحرص متعبة
للقلب والجسم والايمان يمنعه
فان رزقك مقسوم سترزقه
وكل خلق تراه ليس يدفعه
فان شككت بأن الله يقسمه
فان ذلك باب الكفر تقرعه

وهكذا نرى ياقوت يكثر فى الأكثر حين ينقل عن مراجعه الى حين تتسع هذه المراجع للكثير من الأخبار ، ولكنه حين يخلو لنفسه ويبتعد عن مراجعة ويجعل همه الحديث عن واقعه يقل فى الأكثر • قد يكون هذا لقلة ما يقع له • ولكنا على كل حال لا نحس لياقوت وقد لاقى حياة المعاصرين كما تعودنا عن الأقدمين حيث يتميز لهم وجودهم وهم يتكلمون عن معاصريهم • كما لا نراه يفعل فعل الأقدمين فى هذا الاستطراد الطويل الذى ارتضاه حين ينقل ولم يرتضيه حين ينشره •

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢ / [illegible]

ISBN — 977 — [illegible] — 379 — [illegible]

NYROUF